

الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي

المشاركون

د. توفيق الشاوي	د. حسان حتوت	د. حسن الترابي
خالد صلاح الدين	صلاح الدين الجورشي	د. طارق البشري
د. عبدالله أبو عزة	د. عبدالله فهد النفيسي	عبدنان سعد الدين
د. فتحي عثمان	الاستاذ فريد عبدالحالق	د. محمد عمارة
منير شفيق		د. محمود أبو السعود

تحرير وتقديم : د. عبد الله فهد النفيسي

الكويت ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢١٩٨٩ / ١٤١٠ هـ

يطلب الكتاب مباشرة من

الدكتور عبد الله فهد النفيسي

ص.ب. : ٢٣٤١٣ الصفاة 13095 الكويت

فاكس ٢٤٢٦٦٠٦

الاهتداء

إلى الذين نجبهم ولكن نخلف معهم نقول :
إن الحركة التي لا تريد أن تراجع أو تدرك أخطاء ماضيها
من الممكن أن ينحرف حاضرها إلى كومة من الأخطاء
ومستقبلها إلى كارثة
الحل يكمن في نقد الماضي ومراجعتها وتحديد أخطائه
من أجل تلافيها في الحاضر وتوظيف ذلك معرفياً
وموضوعياً في المستقبل .

شؤني

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن
أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن
مجموع المشاركين فيه .

الفهرس

رقم الصفحة	
١١	توطئة
١١	لماذا هذا الكتاب
٣٣	استراتيجية علمية للتيار الاسلامي
٦٠	الهوامش
٦٣	تشخيصات ووصايا للحركات الاسلامية المعاصرة
	البعد العالمي للحركة الاسلامية
٧٥	التجربة السودانية
	الاتجاه الاسلامي: الموقف العام من
٩٩	القضية الفلسطينية
	الحركة الاسلامية
١١٧	مستقبلها رهين التغييرات الجذرية
١٤٦	الهوامش
	الملامح العامة للفكر السياسي الاسلامي
١٤٩	في التاريخ المعاصر
١٧٨	نحو حركة اسلامية علنية وسلمية
١٠٢	الهوامش
٢٠٣	الاخوان المسلمون في مصر: التجربة والخطأ
٢٥٨	خلاصة
٢٦٣	حواشي
	من اصول العمل السياسي للحركة
٢٦٩	الاسلامية المعاصرة
	عدنان سعد الدين

الحركة الاسلامية : العنصر الديناميكي الاجتهادي

- ٢٩٩ د. فتحي عثمان في اسسها الفكرية
- ٣١١ فريد عبدالحالق نحومراجعة المقولات والآليات
من مظاهر الخلل في الحركات
- ٣٢٣ د. محمد عماره الاسلامية المعاصرة
- ٣٥٢ د. محمود ابو السعود مشكلة المدلولات والقيادات
- ٣٧٣ منير شفيق حول نظرية التغيير
- ٤٠١ النظام العام للاخوان المسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

توطئة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله ، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . شهادة المذنب المُعترف بذنِّه والمُقصرُ الرَّاجي لعفوره ، وشهادة عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله تعالى .
وبعد

● يُحاول هذا الكتاب أن يطرح موضوع الحركة الاسلامية من منظور مُختلف . نقصد أن موضوع الحركة الاسلامية قد تناولته العديد من الأبحاث والكتب والأوراق تناولاً مجتزأً ، أي بمعزل عن سياقه الحضاري والتنموي والتغييري والمستقبلي . لقد كانت معظم الكتب والأبحاث والأوراق تُركز على السياق السياسي للموضوع ، وكانت معظم المعالجات - في كتبها وخلصاتها - سياسية محضة .

بمعنى أن معظم الأطراف الذين تناولوا الموضوع قد حددوا ابتداءً الغاية السياسية من تناوله وكانت المعالجات إما أن تفضي الى تبرئة الحركة الاسلامية أو إدانتها سياسياً. لن تكون هذه مهمة هذا الكتاب؛ برغم أن معظم أو كل المشاركين فيه هم من أبناء التيار الاسلامي؛ ولعل هذا هو الجديد في الأمر. سيلاحظ القاريء أن بعض المشاركين هم من مؤسسي الحركة الاسلامية المعاصرة، سُجنوا وضُحوا وشرُدوا عن ديارهم وأهليهم من أجلها، ومع ذلك هاهم أولئك يضعون أصابعهم على مكان الخلل، ويفوضون في النقد الذاتي وهي عملية جديدة في الحظيرة الاسلامية. ولأنها جديدة وغريبة في ساحة العمل الاسلامي فقد تثير من ردود الأفعال ما قد لا تثيره في غيرها من الساحات؛ ورغم ذلك فهي عملية ضرورية: شرعاً وسياسةً ومنهجاً ومصلحةً. يقول د. خالص جَلبي في كتابه القيم: [في النقد الذاتي: ضرورة النقد الذاتي للحركة الاسلامية] مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٤ - ص ١٦٤ :

«إن النقد الذاتي حركة ديناميكية حية متطورة نامية وأداة انضاج للوعي. إن هذه الأداة سترافق الانسان حيث أَعْمَلَ عقله، سواء في رؤية برنامج تلفزيوني، قراءة قصة، تناول بحث، فك علبه، طبخة، ركب سيارة، إنها أداة نَفْضِ مُسْتَمِرَّة للوعي لكي يبقى نشطاً حياً. إنها أداة يقظة للوعي الداخلي، وتطهير أخلاقي في مستوى الفرد، وهي بناء أسرة متماسكة، والعيش في جو جماعة صحي، وتطهير للوسط السياسي من الارهاب والتسلط، وبناء علاقات حسنة بين الجماعات البشرية». انتهى.

يكفي ان أشير هنا ان بعض التنظيمات الاسلامية تحظر على أنصارها قراءة هذا الكتاب لما فيه من تشريح علمي لمكان الخلل في مسيرة الحركة الاسلامية سواء على صعيد القيادة أو المناهج أو الفكر أو المفاهيم أو التفاعل

بين الظروف والنصوص والمُدنس والمُقَدَّس والواقع والمُرتجى. جَلْبِي مرّة
أخرى:

«مفهوم النقد الذاتي يُعتبر غريباً على المسلمين كما ذكرنا، فهم لا يرون فيه مصطلحاً إسلامياً ولا يفهمون تحته إلا التشهير، وهذا يجب تعديله. فطائفة ترى أنه مصطلح غير إسلامي، لأنه لم يأت في كتب القُدّامي! أو لم يرد باللفظ في الحديث أو القرآن؟ وكان كلمة الضمانات الاجتماعية جاء بها الحديث القُدّسي أو تكررت في عدة سور؟ فأما ان اللفظ لم يرد بنصه الحرفي في الحديث أو القرآن فهذا صحيح، ولكن الألفاظ والمصطلحات هي ليست كل شيء، وإنما ما تحمله من مفاهيم. فالأصح إذن هو عموم مفهوم القرآن وروحه واتجاهه، فالعبرة هي بالفكر الذي يدور بين نصوصه. فمفهوم النقد الذاتي بمعنى مراجعة النفس أو النشاط فردياً كان أو جماعياً، ثم محاسبتها هو روح القرآن المكثفة. فالآية القرآنية: (ولا أقسم بالنفس اللوامة) [٢: ٧٥] فيها معنيان الأول: العملية، والثاني: تشكُّل الخلق في هذا الصدد، فهي أولاً عملية مراجعة ومحاسبة ولوم النفس لما حدث، ويُقسم الله فيها لأنها مستوى عظيم في وصول الانسان إليه. وهي ثانياً لفظة تشديد «لوامة» أي ان هذه النفس أصبح لها هذا الأمر خُلُقاً وعادة، وطبعاً تطبعت عليه بمعنى أن ممارسة النشاط أصبح مرتبطاً بشكل عضوي بهذه العملية». (ص ٢٠-٢١) انتهى.

تنبيه الحركة الاسلامية لبعض الثغرات:

(١) غياب التفكير المنهجي ذي المدى البعيد:

● حجم الحركة الاسلامية وانتشارها ومصداقيتها لدى الجمهور العربي الاسلامي والامكانيات البشرية والى حد ما المادية الضخمة المتاحة لها

يُسَهِّلُ مهمات الانطلاق والبناء العلمي للحركة . غير ان التعقيدات التي تنجم عن أساليب وآليات المعالجة للمشاكل التي تعترض الحركة تحول دون ذلك ؛ فالحركة إذن بحاجة ماسة لمراجعة أساليب عملها ومن هنا صار لزاماً عليها ان تطرح أزمتهـا الادارية للحوار على الأقل داخل اطاراتها لأن الاستمرار هكذا ورهن الجمود الاداري الذي تعاني منه هو ضمان أكيد لتراكمات الأخطاء والحوول دون التصحيح المطلوب . ويبدو ان القيادة السياسية للحركة تركز جهودها في محاولة التصدي للأحوال الطارئة أكثر من التخطيط للمستقبل . فجميع مؤسسات الحركة غارقة الى أكثر من قامتها في أعمالها اليومية . هذا الأسلوب في العمل يُقلِّص امكانيات التفكير المنهجي ذي المدى البعيد ويشجع على أسلوب حل كل مشكلة بعد نشوئها لا الاحتياط من نشوئها . واذا استمرت القيادة - على أي مستوى - في العمل بهذه الكيفية فلا شك أنها ستظل ضمن هذه الحلقة الشريرة من المشاكل الطارئة . بدون التفكير على المدى البعيد وبدون التفكير المنهجي المرتكز على الرؤية التخطيطية يتزايد ضغط المشاكل الطارئة ، وهذا الضغط - بدوره - يعرقل التفكير على المدى البعيد .

(٢) بلورة نظرية علمية للاتصال بالجمهور :

● لأن الحركة الاسلامية انشغلت في يومياتها عن التفكير المنهجي ذي المدى البعيد ، صار من السهل احتواء الحركة وبتـر علاقاتها السياسية أو الاجتماعية حسبما تقتضيه مصالح الأطراف المضادة . وتفيد الدراسات المتخصصة في علم الاجتماع السياسي أن الجمهور لا يتحمس لمساندة أي تيار إلا اذا تحقق فيه شرطان : الأول أن يفهم الجمهور مقاصد التيار وأهدافه ؛ والثاني أن يجد الجمهور لدى التيار حلاً لمشاكله الحقيقية التي يعاني منها . لذا ينبغي على الحركة الاسلامية ان تعرض نفسها على الجمهور في صورة واضحة ومفهومة ومُيسرة ، وعليها من جانب آخر أن تُحدِّد بعلمية

وموضوعية مشاكل الجمهور - وفق مُعطيات الواقع لا وفق خيالات الحركة -
وأن تطرح الحلول لها والقيام بتعبئة الجمهور وتحريكه لصالح الحلول التي
تطرح. ان وضوح صورة الحركة الاسلامية في عقل الجمهور أمر في غاية
الاهمية، ونقصد بوضوح الصورة أن تتأكد الحركة الاسلامية في ان الجمهور
قد فهمها وعرف ما تريد وإلّا تهدف. إن أي خلل في الصورة التي ترسب
في لا شعور الجمهور من شأنه ان يُعيق العمل الاسلامي لفترة طويلة من
الزمن. لذا كان من الضروري - بدون كلل أو ملل - توضيح المقاصد التي
تروم تحقيقها المؤسسة الاسلامية، لا بد من توضيح تلك المقاصد وتحديدتها
واختصارها عبر كل الانشطة الاعلامية للحركة. ويجب ان تكون عملية
التوضيح بسيطة ومباشرة وبأسلوب لا نفرة فيه ولا غلظة ولا أستاذية. ولأن
أعداء الاسلام يُدركون خطورة هذا الأمر - أي وضوح صورة الحركة
الاسلامية في عقل الجمهور - لذا فانهم يتهافتون دائماً على تشويه صورة
العاملين للاسلام ومحاولة محاصرتهم وتطويقهم في زاوية حادة من التهم
والتلفيقات والدعايات لا يعني هذا ان كل ما يكتب من نقد للحركة
الاسلامية ولأدائها يمكن ان يندرج في اطار التلفيقات والدعايات، هذه نقطة
ينبغي التنبه لها حتى لا تصم الحركة الاسلامية آذانها إزاء نداءات التصحيح
والترشيد. وحتى تكون صورة الحركة الاسلامية واضحة ومفهومة لدى
الجمهور يجب ان تكون القضايا التي تتبناها الحركة قضايا مفهومة وواضحة
ومعاصرة وذات وزن في هم الجمهور. من هنا كان لزاماً على الحركة أن
تتخاض الغرق في الخلافات الفقهية المتعلقة بقضايا عفا عليها الزمن ولا
علاقة لها بشأن الناس. ومن هنا كان لزاماً الابتعاد عن فخاخ الجدل حول
التاريخ الاسلامي، وينبغي الانتقال من العقلية الماضوية التي تحوم حول
الماضي الى العقلية المستقبلية التي تشرئب للمستقبل حتى يدرك الجمهور ان
الاسلام هو مشروع نهوض للمستقبل. هذه الصورة الحيوية الدينامية التي

من المطلوب ان تجسدها الحركة الاسلامية يجب ترسيخها في لا شعور الجمهور عبر الألفية المتعددة. واذا كانت الحركة الاسلامية تريد من الجمهور ان يساندها، فعليها أولاً ان تبادر باحتضان قضايا الجمهور. ولذا لابد من التحديد العلمي والموضوعي لمشاكل الجمهور وطرح الحلول العلمية والموضوعية لها وتعبئة الجمهور لصالح تلك الحلول. وقد تكون قضية الجمهور تتعلق بالخدمات المباشرة مثل التموين أو المواصلات أو المدارس أو التطبيب وغير ذلك فلا يحقرن العمل الاسلامي هذه المهوم اليومية لأنها في معظم الأحوال هي مفاتيح الدخول لقلب الجمهور والتأثير فيه. إن بلورة نظرية علمية للاتصال بالجمهور والاحتفاظ به وتوظيفه لصالح المشروع الاسلامي هو من المهام الكبيرة التي تنتظر الحركة الاسلامية، وإن أي اهمال في هذا الأمر سوف ينعكس - إن لم يكن قد بدأ - على شعبية الحركة ومصداقيتها وشرعيتها الواقعية. ان الابتعاد عن الجمهور يؤدي الى طغيان مركبات الفشل والكراهية وروح الانعزال فتتحول الحركة في النهاية الى (فرقة) أو طائفة دينية، وعندها تتبخر فعالية الحركة وتنقرض أدوارها التاريخية.

(٣) الحلقة المفقودة في التصور الاستراتيجي للحركة:

● والذي يتأمل نتاج المطبعة الاسلامية (فكر الدعوة) إذا جاز التعبير، يلحظ بعض التصورات الخاطئة المبثوثة بين الاسلاميين ومنها ان هذا العالم يعيش في حالة (فراغ) فكري وروحي وقيمي وحضاري. وأن الحركة الاسلامية جاءت لتملأ هذا الفراغ وتسده. كذلك تنتشر بين الإسلاميين مقولة مؤداها أن العالم يعيش حالة من الفوضى الفكرية والثقافية والقيمية وأن الحركة الإسلامية مُنَاط بها تصحيح هذه الفوضى ووضع الأمور في نصابها الصحيح. وهذه تصورات في حاجة الى مراجعة، فالحركة لا تتحرك في فراغ بل في عالم مُكْتَئز ومزدحم - وربما أكثر من اللازم أو أكثر من

طاقته الاستيعابية - بالأفكار والقيم ومشاريع الخلاص الروحي والمادي والوطني ومن ضمن العوامل الرئيسة التي تعيق الحركة الاسلامية من تحقيق أهدافها الاستراتيجية هو هذا الاكتناز والازدحام والندية التي تملأ العالم . ثم إن هذا العالم - موضوعياً - يعيش اليوم أرقى درجات التنظيم والنظام وربما تكون هذه هي العبقورية البارزة لهذا العصر، بقي أن تتجه هذه العبقورية في اتجاهات لا تروق لنا لا يعني البتة أن العالم يعيش في حالة من الفوضى العامة . هناك (نظام) يتحكم في هذا العالم ؛ نظام عالمي له (قلب) يتحكم في مسيرته ويتكون من عدد محدود من الدول الغربية (بشقيها الرأسمالي والشيوعي) ويفرض سياساته على (الأطراف) وهي بلدان العالم الثالث حيث العالم الاسلامي . ولدى دول القلب وسائل تحكم عديدة بدول الأطراف منها القوة العسكرية من حيث إستخدامها في العدوان المباشر أو التهديد به أو من حيث ربط جيوش دول الأطراف بتصدير السلاح إليها أو منعه عنها . وهناك عوامل القوة الاقتصادية (الصناعة، التكنولوجيا، المال) كوسائل للتحكم والضغط بمسارات التنمية في العالم الثالث . وهناك أخيراً سيطرة دول القلب على وسائل الاعلام والاتصال واحتكار خمس وكالات (عالمية) لمصادر الأخبار التي تنشرها صحفنا المحلية ، الى السينما ومواد التلفزيون والاعلانات مما يعيد تشكيل الأذواق والآراء والقيم في عالمنا الاسلامي ، وفق المشروع الغربي للتنمية والتطور . لقد ذهب (متدى العالم الثالث) في دراسة قيمة له نشرها (مركز دراسات الوحدة العربية) في بيروت وهو يُشخص حالة التبعية التي تعاني منها دول الأطراف الى القول: (إن النظام العالمي يشبه النظام الفلكية ، يتوسطه نجم كبير الحجم ومُشعٌ تدور في فلكه الكواكب السيارة بحكم قوانين الجاذبية . ولذلك - وهذا ما يعيننا هنا - ما لم نحاول مجموعات من دول العالم الثالث ان تشكل لنفسها مستقبلاً أكثر استقلالاً ، وأقل خضوعاً للاستغلال ، فإن مسيرة النظام العالمي - فضلاً عن أشكال التدخل

المباشر أو غير المباشر - ستحدد لها المستقبل الذي يتفق ومصالح القوى المسيطرة في القلب من النظام العالمي).

● إزاء ذلك يحق لنا ان نسأل ما هي نظرية الحركة الاسلامية وتصورها للخروج من دائرة التبعية هذه؟ وهذا ما نعتقد أنه يشكل الحلقة المفقودة في التصور الاستراتيجي للحركة أي غياب (النظرية المتكاملة) في السياسة الدولية والحراك الاجتماعي وتوزيع الثروة والتعايش مع القوى والأنظمة المتباينة والتي يعجز بها هذا العالم المتحرك القلق المتحول. ان من يتتبع ما تنشره الحركة الاسلامية المعاصرة بشتى راياتها ومسمياتها يلحظ ان جُلّه يتناول نظام القيم - وهو ديدن الخطاب الاسلامي خلال أكثر من نصف قرن - ولكن ما نحتاجه الآن وبشكل مُلح هو تحديداً نظام للمفاهيم وبدون التحديد العلمي الموضوعي للمفاهيم لا يمكن بلورة النظرية الاسلامية المتكاملة التي نطالب بصوغها. والاسلام - في خلاصته وهيكلته الاساسية - ليس مذهباً فلسفياً أو تياراً ثقافياً، إنما هو حركة اجتماعية تستهدف التغيير الاجتماعي نحو الأفضل والأمثل في كل مجالات الحياة. بمعنى آخر ان للاسلام وظيفة اجتماعية كبيرة ولذا كان لابد من ايدولوجيا إسلامية أي نظرية اسلامية متكاملة تضع مواصفات التغيير الاجتماعي المطلوب على كافة الصُّعد في المشروع الإسلامي. إذن ينبغي فرز فريق عمل من الكفاءات الاسلامية التي تزخر بها اطارات العمل الاسلامي للقيام بصوغ تلك الايدولوجيا إذ أن كثيراً ما يؤدي ضباب الرؤية الى هدر في الأرواح والأموال والأوقات.

الحركة الإسلامية في حاجة ماسة الى منطق سياسي شرعي وعصري على ضوءه تُحلّل الأوضاع والظروف التي يمر بها هذا العالم أي في حاجة أكيدة الى (نظرية) تسترشد بها في تفسير المجتمعات والقوى المحلية والعالمية. وقد

يخلط البعض فيقول أن (الدين الاسلامي) هو نظرية الحركة الاسلامية فلماذا المناداة بذلك؟ وفي رأبي أن هذا تعبير يعوزه الدقة، فالدين أشمل من النظرية وان كانت النظرية - بمعناها العام - جزء من الدين. أقصد أن الدين من حيث هو جملة من التعاليم والأوامر والنواهي وغير ذلك لا يزود الحركة الاسلامية بما يمكن أن نسميه بالنظرية، ولكن بالامكان استنباط النظرية التي نقصد من الدين.

النظرية بكلمة أخرى مُضمَّنة في الدين وهي لكي تظهر وتتضح في حاجة الى استنباطها وفصلها عن (النص) وعرضها من حيث هي النظرية الاسلامية لتحليل المجتمع وحركة التاريخ. هذه قضية هامة للغاية لا يدركها إلا قليل من الناس، وأهميتها تكمن في هذا الضياع الذي تعاني منه الحركة الاسلامية والأحداث من حولها تتلاطم وتتحار في تحليلها وفهمها واستيعابها (لغياب النظرية)، فتتبنى تحليلات وفهومات المدارس الفكرية الأخرى التي قد تكون مدارس لا دينية في رؤيتها الاجتماعية والكونية. واستنباط النظرية الاسلامية لتحليل المجتمع وحركة التاريخ من (النص) الديني وفصلها عنه وعرضها وتوضيحها ورصّ وشرح مفاهيمها ومصطلحاتها في بناء فكري مُتناغم وموحد، هذه العملية من التنظير في حاجة لجهود جماعي غير بسيط على الحركة فيما أرى - والله أعلم - أن تُعنى بتنظيمه.

(٤) أين التاريخ الرسمي للحركة الاسلامية؟:

● خُذ مثلاً فصيل من فصائل الحركة الاسلامية المعاصرة كالاخوان المسلمين (تأسس في ١٩٢٨) فرغم مرور ما يربو على الستين عام لهذه الجماعة لا نجد في المكتبة العربية الاسلامية كتاباً واحداً أصدرته الجماعة - من حيث هي جماعة - أي رسمياً وباسمها لا باسم أفراد - يتناول بالتقويم الموضوعي هذه الفترة الطويلة من الزمن والعمل والتحرك. حركة بهذا

الاتساع الزماني والمكاني (للاخوان تنظيمات في معظم الأقطار العربية والاسلامية) ليس من المطلوب أن تقدم للأمة التي تتحرك في اطارها تفسيراً رسمياً لسلسلة المحن التي مرت بها ولحلقات الإخفاق التي تكررت في تاريخها وصور عن النجاحات التي حققتها ودورها - كما تراه - في حاضر الأمة ومستقبلها وأهدافها الاستراتيجية التي تروم تحقيقها وما هي المراحل التي قطعتها صوب تلك الأهداف وكم بقي من المراحل لكي تصل لتحقيق أهدافها الاستراتيجية وما هي آليات وسبل الانتقال من الأوضاع الراهنة بما تنوء به من مشكلات وتناقضات الى الأفاق الجديدة التي تبشر بها إذ لا قيمة ولا فعالية ولا ايجابية للتصورات والرؤى الاستراتيجية ما دام لا يرافقها وضوح موازٍ للآليات والدروب الانتقالية؟ ليس من المؤسف أن تفرز قوى سياسية إسلامية محلية ودولية للجان والمكاتب والأجهزة والأصاير والأراشيف والاختصاصيين لرصد التيار الاسلامي ومدارسه ورموزه وتحركاته وغير ذلك وتنشر بعض الدراسات الهامة والغنية والقيمة التي بدأ المسلمون يقبلون عليها لاشباع جوعتهم لتفسير ما هم فيه، وفي نفس الوقت لا نجد جهداً يبذل من الحركة الاسلامية في هذا الاطار؟ إن كتابة التاريخ الرسمي للحركة الاسلامية الصادر منها وباسمها مهم للغاية في إطار كوادرها وأنصارها وهو مهم للمراقبين المحايدين الموضوعيين الذين يهمهم معرفة الحقائق كما حدثت وتطورت وهو مهم للرد على الافتراءات والأكاذيب التي ينشرها أعداء أي تحرك إسلامي . وهو مهم للعالم أجمع لكي يعرف أن هذه الحركة تحاطبه وتناشده وتعرض ما عندها عليه بعلمية وموضوعية وتجرد ودون اعتساف وهو مهم للمستقبل كي لا تقع الأجيال المسلمة القادمة فيها وقعت فيه الحركة الإسلامية من أخطاء سواء على صعيد التجمع أو الفكر أو الحركة .

(٥) عَيْنٌ عَلَى الْحَاضِرِ وَعَيْنٌ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ :

● العالم اليوم يعيش حالة مستمرة من التغير الواسع النطاق. لناخذ مثلاً حول حاضر الإنسان العربي ونرصد التغيرات التي طرأت في محيطه العربي فقط خلال العقدين الأخيرين كما جاء في (التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي). والذي نشره مركز دراسات الوحدة العربية في أكتوبر ١٩٨٨، ففي العقدين الأخيرين (١٩٦٥ - ١٩٨٥): تضاعف عدد سكان العالم العربي مرة وازداد حجم المدن ثلاث مرات وارتفع عدد المدارس والجامعات أربع مرات وتضاعف متوسط الدخل مرتين وتضاعف الحجم المطلق للشرائح المتوسطة مرتين وتضاعف الحجم المطلق للطبقة العاملة الحديثة مرتين وتضاعف عدد أجهزة الراديو عشر مرات وارتفع عدد أجهزة التلفزيون عشرين مرة، وانفجرت في المنطقة أربعة حروب ممتدة وتضاعف عدد المسافرين العرب الى خارج الوطن العربي عشر مرات وزادت ديون بعض أقطار الوطن العربي للخارج ثلاثين مرة وزادت أرصدة بعض أقطار الوطن العربي في الخارج أربعين مرة. لا شك أن هذه تغيرات كبيرة وعميقة في ساحة عمل الحركة الإسلامية، فكيف انعكس ذلك على برنامج حركتها وتصورها للعمل؟ وهل وظفت هذه التغيرات لصالح مشروعها؟ وهل طورت من أساليب عملها للتناغم مع هذه التغيرات؟ وهل أثرت هذه التغيرات على ترتيب الأولويات وشبكة العلاقات السياسية الشعبية والرسمية؟ وهل انعكست على الخطاب الاجتماعي الذي تحمله الحركة؟ هذه الأسئلة وغيرها كثير ننظر ونحن نتأمل خطورة وأهمية هذه التغيرات البنيوية التي حدثت في المحيط العربي ما بين ١٩٦٥ - ١٩٨٥.

● يطرح هذا الأمر نقطة جوهرية وهي وجوب رصد اتجاهات تلك

التغيرات أي ضرورة استشراف المستقبل واتخاذ كافة الاجراءات للمواءمة معه والاحتياط له والاستعداد لتوظيفه ودراسة البدائل المتاحة في هذا الاطار والمقارنة بينها. لا نعني بالاستشراف تقرير ما سيحدث بالضغط، فذلك خارج عن قدرة الإنسان، لكننا نقصد بالاستشراف رصد التغيرات الحالية وتحديد توجهاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية والعسكرية والثقافية وغير ذلك والخروج من كل ذلك بتصور مستقبلي يشتمل على عدة (سيناريوهات) أي مشاهد وتوقعات واحتمالات ودراساتها والتحوط في ذلك للمواءمة معها وتوظيفها لصالح المشروع العام للحركة الاسلامية: وهذا امر اجزم أن الحركة لا تضعه حتى في آخر سُلّم أولوياتها وهذه ثغرة ينبغي التنبه لها. لقد بدأ العالم الغربي (بشقيه الرأسمالي والشيوعي). . تدارس مواقعه ومواقفه وتكويناته وتشكيلاته ونظمه واقتصاداته وأولوياته وفنونه وآدابه وموارده البشرية والمادية واتجاهاته الاجتماعية والسياسية والثقافية وعمليات صُنع القرار في حكوماته؛ يفعل ذلك وهو في قمة سطوته وسيطرته المادية والثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية على العالم أجمع وذلك في محاولة منه لاستشراف المستقبل والاحتياط له. لقد بلغ الأمر أقصاه لدى غورباتشوف في كتابه القيم «بيرسترويكا» (عملية إعادة البناء) فأقرأ له إن شئت التالي:

«نجد أنفسنا أمام المفارقات، فمن ناحية حل مجتمعا وبنجاح، قضايا تأمين فرص العمل وقدم الضمانات الاجتماعية الأساسية، ومن ناحية ثانية لم نتمكن من تحسين ظروف المسكن وتأمين الموارد الغذائية كماً وكيفاً وكذلك تنظيم عمل وسائط النقل وفق المستوى المطلوب وتحسين الخدمات الطبية والتعليمية».

«أخذ ينشأ وضع غير معقول. انتاج ضخم من الفولاذ والمواد الخام والطاقة والوقود لا مثيل له في العالم، وفي الوقت ذاته نقص في هذه المواد

بسبب التبديد وقصور الاستخدام. لدينا أكبر عدد من الأطباء وأسرة المستشفيات بالنسبة لكل ألف مواطن ومع ذلك نعاني نواقص خطيرة وتدنياً في مستوى العناية الصحية. وصواريجنا تشق طريقها بدقة متناهية نحو مذنب هالي وتسرع لموعدها مع كوكب الزهرة، ولكن رغم هذا النصر للفكر الهندسي والعلمي فإننا نلاحظ تخلفاً واضحاً في استخدام المنجزات العلمية لتلبية الاحتياجات الاقتصادية».

«إن عرض الواقع (خالياً من المشاكل) قد ارتد الى نحر أصحابه ونشأت هوة بين القول والعمل ساهمت في تكريس السلبية الاجتماعية وعدم الايمان بالشعارات المطروحة. ومن الطبيعي أن تهتز الثقة في وضع كهذا بكل ما يقال من فوق المنابر وعلى صفحات الجرائد والكتب المدرسية، وبدأ الانهيار في الأخلاق الاجتماعية والانهيار في أحاسيس التضامن العظيمة فيما بين الناس، تلك الأحاسيس التي أرساها زمن الثورة البطولي وسنوات الخطط الخمسية الأولى والحرب الوطنية وفترة الانبعاث فيما بعد الحرب. وارتفع تعاطي الكحول والمخدرات والجريمة، كما ازداد تغلغل الأنماط «الثقافية الهابطة» الغربية عن المجتمع السوفييتي والتي تكرر الابتدال والذوق الوضيع والخواء الروحي».

«أما الاهتمام الحقيقي بالناس، بشروط حياتهم وعملهم، بمزاجهم الاجتماعي، فغالبا ما كان يتم استبداله بالنفاق السياسي وبالتوزيع الجماعي للمكافآت والألقاب والجوائز. وتراكت حالة عامة من التفاضلي، وتدني مستوى حث الجماهير والانضباط والشعور بالمسؤولية. وقد حاولوا التستر على ذلك كله عن طريق تنظيم الاحتفالات الاستعراضية وتكرار المناسبات اليوبيلية سواء في المركز أم في النواحي. وشيئاً فشيئاً اتسعت الفجوة بين عالم الحقائق اليومية وعالم الازدهار الاستعراضي. ولم يكن بمقدور

العديد من المنظمات المحلية أن تحافظ على مواقعها المبدئية وان تخوض نضالاً حازماً ضد الظواهر السلبية وضد استباحة الأشياء والتستر المتبادلة وإضعاف النظام. وتكررت حالات انتهاك مبدأ المساواة بين أعضاء الحزب واستثني من دائرة الرقابة والنقد العديد من الشيوعيين الذين يحتلون مراكز قيادية، الأمر الذي أدى الى إخفاقات في العمل ومخالفات خطيرة». انتهى.

(٦) تجاوز العتبة الحزبية:

● جلبي مرة أخرى وأخرى:

«من كوارث العمل الاسلامي وارتداده وانقلاب نشاطه هو الفكر الحزبي، فعندما يكسب تنظيم ما عضواً يدين بالطاعة ولا يناقش ويتابع الأوامر فهذا يعتبر متمياً والعكس بالعكس، وكان من نتائج هذه الطريقة التربوية أنه خرج جيل أو مجموعة كبيرة من الشباب تنتظر الأوامر فقط وبذلك حرمت من ميزة الابداع والحركة الذاتية، والإبداع هو سر تفوق الدعوات. وعلى العكس خسرت بعض التنظيمات أهم عناصرها وأنشطتها وأكثرها ابداعاً، بل والأدهى انها عندما لم تستطع تسخير هذه الإمكانيات فإن هذه الطاقات عندما لا تمشي في مساراتها الصحيحة وتستهلك، تقع في صراعات داخلية، لأن الطاقة لا بد لها من تصريف فإن لم يكن بمحور ذي اتجاه داخل التنظيم الى خارجه فليكن معكوساً الى داخله؟ ولقد عانت بعض التنظيمات الاسلامية في الفترة الأخيرة من تبديد الطاقة هذه». (ص ٢٢٨ - ٢٢٩).

● «إن الانسان في الاجواء الحزبية يعمل في بعض الظروف ضد قناعاته، وهذا ما صرح به رجل بارز في اتجاه اسلامي حيث اعترف بأنه يعمل ضد قناعاته لأنه ان لم يفعل ذلك فسوف يتهم بالخيانة؟ فاذا حلت الكارثة بعد ذلك كان مشجب المهازل جاهزاً، سبجانه وتعالى عما يصفون،